الكتابات الجزائرية ما بين 1973 و2013، حول هجرة الجزائريين إلى فرنسا خلال القرن العشرين، بين الدراسات الجامعية وكتابات الهواة ومذكرات الشهود

دراسة احصائية نقدية(*)

الدكتور/لزهر بديدة

جامعة الجزائر 02

شكلت الهجرة الجزائرية إلى فرنسا خلال القرن العشرين، حدثا هاما استرعى انتباه العديد من الكُتاب والباحثين وحتى السياسيين، في الجزائر وفرنسا عل حد سواء، في محاولة للوقوف عند هذه الظاهرة ومحاولة معالجة أسبابها والنتائج المترتبة عنها، ويبدو اهتمام الفرنسيين بهذا الموضوع، أكثر من اهتمام الجزائريين. وإذا كانت الكتابات الفرنسية عديدة ومتنوعة جدا في تناول ومعالجته هذا المجال من شتى الجوانب والزوايا، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وصولا إلى نتائج هذه الهجرة على المجتمعين الفرنسي والجزائري، ودور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية والثورة التحريرية؛ فإنه وبالمقابل نجد شحا كبيرا في الكتابات الجزائرية التي تقف عند هذا الموضوع دراسة وتحليلا .

وقد يكون مرد هذا الشح إلى جملة من الأسباب الموضوعية، منها حداثة الموضوع وصعوبة الخوض أو الفصل فيه، ومن ثمة قتله بحثا وتحليلا، خاصة وأن الكثير من الفاعلين الأساسيين في تلك المرحلة، التزم بعضهم الصمت المطبق، وبعضهم الآخر مازالت مذكراتهم وشهاداتهم لم تخرج بعد لتكون في متناول البحث والدراسة، كما أن الأرشيف المتواجد بفرنسا لم يفتح بالشكل الكامل، والذي يتيح للباحثين والدارسين الجزائريين، خوض غمار ملف الهجرة الجزائرية إلى فرنسا؛ وهذه وتلك، تشكل فراغا وعائقا كبيرا في التطرق لهذا الموضوع الحساس.

كما أن هناك أسبابا ذاتية، وهي عدم رغبتنا، أكاديميين أو فاعلين في موضوع الهجرة إلى فرنسا، في فتح هذا الملف ومعالجته بروح علمية، خوفا من أن

يثير ذلك بعض الحساسية أو ردود الفعل غير المحسوبة، قد تؤثر على الواقع السياسي والاجتماعي للجزائر .

والجزائريين، وهذا طرح بقدر ما فيه من الحكمة، بقدر ما يحمل مخاطر كبيرة، لأننا بهذا التصرف سندفن حقبة هامة من تاريخنا، بما فيها من سلبيات وإيجابيات.

ومن أجل معرفة ما كتبته الأقلام الجزائرية حول ملف الهجرة والمهاجرين الجزائريين إلى فرنسا، قمنا بجرد لأغلب هذه الكتابات،سواء كانت أبحاثا علمية أو مذكرات أو كتابا هاوية، والتي خرجت ظهرت على الساحة حتى نهاية العام 2013، مع عرض بعض النماذج من هذه الكتابات نقدا وتحليلا، خاصة ما كتبه المؤرخون وعلماء الاجتماع والسياسة، إضافة إلى كتابات الهواة المهتمين بدراسة ظاهرة الهجرة الجزائرية إلى فرنسا. والهدف من عرض هذه النماذج، هو الوقوف عند ما تمت تغطيته لهذه الظاهرة تاريخيا وسياسيا واجتماعيا، مع الإشارة إلى القضايا لم تتطرق إليها هذه الكتابات والتي ما تزال مثار جدل ونقاش حادين في الجزائر وفرنسا على حد سواء، وما لم تتم الإجابة عليه من استفهامات وتساؤلات إلى يومنا هذا.

وهذه الكتابات التي رصدناها عبارة عن دراسات وأبحاث علمية، وشهادات بعض الجزائريين الذين عاشوا في فرنسا لمدد معينة وسجلوا مشاهداتهم وملاحظاتهم وتجاربهم فيها، وكتابات لمهتمين وهوات. والملاحظ أن أغلب ما كتب حول الهجرة إلى فرنسا، كان بفرنسا وباللغة الفرنسية، وما تمت ترجمته إلى اللغة العربية حتى هذه الأثناء قليل جدا، أما ما كتب أصلا باللغة العربية فهو كذلك نزر قليل، وليس هناك سبب علمي أو منطقي يبرر هذا الخلل الكبير، لأن الجامعة الجزائرية تزخر اليوم بكم كبير من الدارسين والباحثين، الذين بإمكانهم الترجمة إلى اللغة العربية أو الكتابة بها.

وهنا نشير إلى أن الدراسات المتعلقة بهجرة الجزائريين إلى فرنسا، في الجامعات الجزائرية، خلال الفترة الممتدة ما بين1973 و2013، قليلة جدا بحيث لم تتعد العشر دراسات، وكان أول من عالج الموضوع علميا، هو السيد عكاش محي

الدين، وقد كانت دراسته المنجزة باللغة الفرنسية سنة 1973، عبارة عن معالجة قانونية، لموضع هجرة العمال الجزائريين

Akkache Mahieddine: **Le Statut Juridique des Travailleurs France, Algériens en** (Etude juridique), Alger, 1973.

أما ثاني الأبحاث التي عرفتها الجامعة الجزائرية، فقد كان من انجاز السيد عبد الحميد زوزو، الذي عالجه باللغة العربية سنة 1975، وهو يحمل عنوان "دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية ما بين الحربين(1919 - 1939)".

ويبدو من خلال الإحصائيات المتوفرة حتى هذه المرحلة، دراسات الجزائريين حول الموضوع والمنجزة بالجامعات الفرنسية، تفوق وبشكل واضح تلك المنجزة من طرف أكاديميين جزائريين في الجامعات الجزائرية، إذ بلغ عدد أبحاث الأولين الـ25 بحثا، والأخيرين تسعة بحوث فقط، وإذا كان الباحثون الجزائريون في فرنسا قد أنجزوا أكثر من نصف الكتابات التي ظهرت لجزائريين آخرين في فرنسا- والتي نسجل منها 15 عملا عبارة عن مذكرات لمهاجرين وقياديين في الحركة الوطنية و8 كتابات لهوات ومهتمين بحركة الهجرة، فإن الحال في الجزائر بعكس ذلك تماما، إذ لا تمثل الـ9 أبحاث إلا نسبة متدنية جدا، من مجموع ما ظهر في الجزائر وباللغتين العربية والفرنسية.

ومن مجموع حوالي الستين عملا تناولت هجرة الجزائريين إلى فرنسا في القرن العشرين، وباللغتين العربية والفرنسية، وفي الجامعات الجزائرية والفرنسية على حد سواء، نجد 34 عملا علميا لجزائريين، ما يمثل أكثر من نصف قليلا مما ظهر على الساحة، والبقية عبارة عن مذكرات وكتابات عامة لصحفيين وهوات، لإشارة أننا ذكرنا الرقم ستين، لأن حوالي عشرة أعمال تمت ترجمتها من اللغة الفرنسي إلى اللغة العربية. وبعد هذه الملاحظات التي نراها ضرورية وغنى عنها،- نستعرض لبعض النماذج بالدراسة والنقدا والتحليل، وهي عبارة أربعة نماذج لأكاديميين وبحاثين جزائريين، ونموذج أخير لصحفي مهتم بملف الهجرة الجزائرية نحو فرنسا.

دراسة بعض النماذج:

- النموذج الأول:

عبد الحميد زوزو، **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية ما بين الحربين(1919 – 1939)**، وهو في الأصل دراسة تاريخية نال بها صاحبها شهادة الماجستير من معهد التاريخ، جامعة الجزائر سنة 1975، وقدمها للطبع في شكل كتاب بعد المناقشة.

جاء هذا العمل في خمسة فصول، وبمجموع 270 صفحة، عنوان الفصل الأول، الهجرة في اتجاه فرنسا،[1] وتطرق فيه إلى حركة الهجرة الجزائرية نحو فرنسا قبل الحرب الإمبريالية الأولى(1914/1918)، وأعداد المهاجرين وأماكن تواجدهم بالأراضي الفرنسية،[2] ثم عرج وبعجالة (صفحتان) على الهجرة أثناء فترة الحرب،[3] وعالج في الجزء وهو لأكبر في هذا الفصل، الهجرة ما بين الحربين، مع الإشارة إلى المناطق التي توافد منها الجزائريون من داخل الجزائر، ودوافع الهجرة[4]

أما الفصل الثاني فقد اختار له المؤلف تسمية" التطور السياسي والأيديولوجي لدى المهاجرين"، وقد تعرض فيه إلى الظروف التي أدت إلى ظهور حركة نجم شمال إفريقيا سنة 1926، وتطور هذه الحركة إلى غاية حلها مطلع العام 1937، ثم ميلاد حزب الشعب الجزائري في العام نفسه، وحتى سنة 1939، وهي السنة التي حلت فيها السلطات الاستعمارية حزب الشعب، واعتبر الكاتب المرحلة ما بين سنتي 1937 و1939، هي مرحلة النضج والتعرف على الواقع الجزائري[5].

وخصص الاستاذ زوزو الفصل الثالث إلى التعريف بالجهاز الإداري لحركة النجم وحزب الشعب معا، ووسائل عملهما، والتوسع في مناقشة معطيات ظهور حزب الشعب،[6] وفي الفصل الرابع، عالج الكاتب علاقة النجم وحزب الشعب بالمنظمات والأحزاب الجزائرية والفرنسية،[7] وكانت خاتمة البحث بالفصل الخامس، الذي تم فيه تناول رد فعل السلطات الاستعمارية على الدور الوطني للمهاجرين، مع تركيز الباحث على المتابعات للقادة الجزائريين المتواجدين بفرنسا،

خاصة قيادة النجم وحزب الشعب، وعمليات الحل التي طالت هاته التشكيلة خلال ثلاثينيات القرن العشرين[8].

ويعتبر العمل الذي قدمه عبد الحميد زوزو، من البحوث العلمية الأكاديمية الأولى في التي حاولت معالجة ظاهرة هجرة الجزائريين إلى فرنسا خلال منذ سنة 1914 و1939، وهو جهد جد معتبر في تلك الأثناء، التي لم يكن الأرشيف متاح مثل ما هو اليوم، ولم تظهر فيه شهادات ومذكرات بعض المهاجرين (سياسيين وغيرهم) بشكل كبير، كما هو عليه الحال في هذه المرحلة.

غير أن المتأمل في البحث، يلاحظ أنه يؤرخ للنجم وحزب الشعب، أكثر ما يؤرخ للمهاجرين الجزائريين على العموم، وبالإضافة إلى ذلك فإن الباحث لم يتطرق إلى باقي التشكيلات الوطنية التي كان لها وجود ونشاط داخل الأراضي الفرنسية، والدور الذي لعبه المهاجرون في دعم وتأطير هذه التشكيلات، فالبحث إذن هو عبارة عن دراسة تاريخية سياسة للنجم وحزب الشعب خلال سنوات العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين.

- النموذج الثاني:

عمار بوحوش، **العمال الجزائريون في فرنسا**، دراسة تحليلية ، ط 1، الجزائر 1975 والطبعة 02 بالجزائر 1979. والدكتور عمار بوحوش هو أستاذ في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، أصدر هذه الدراسة في طبعتها الأولى سنة 1975، وجاءت هذه الطبعة في تسعة فصول، أما الطبعة الثانية فقد أضاف إليها الفصل العاشر، وتحتوي هذه الدراسة على 418 صفحة. تناول الكاتب في الفصل الأول، الذي أعطى له عنوان " نظرة سريعة على قضايا الهجرة"، دور العمال الجزائريين في العلاقة بين الجزائر وفرنسا بعد سنة 1962، وحتى سنة 1972، خاصة في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية [9] .

وفي الفصل الثاني الذي بلغ عدد صفحاته، التسعون صفحة، والذي اختار له عنوان" سياسة فرنسا في الجزائر وأثرها في الهجرة إلى الخارج"، تم التطرق إلى

العلاقات الجزائرية الفرنسية قبل سنة 1830، وبداية من الصفحة الرابعة والتسعين يبدأ الباحث حديثه عن هجرة الجزائريين إلى فرنسا في مطلع القرن العشرين، والدور الذي لعبه المغتربون في ظهور الأحزاب السياسية الجزائرية في فرنسا خلال سنوات العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين،[10] والصفحات المتبقية وقفت عند العلاقة بين الجزائريين والفرنسيين خلال الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وإلى غاية التوقيع على اتفاقيات ايفيان في مارس 1962[11].

وتعرضت الدراسة في الفصل الثالث، إلى تاريخ الهجرة وأسبابها منذ العام 1871، رابطا إياها بالواقع الاقتصادي للجزائريين وحاجة الاقتصاد الفرنسي إلى اليد العاملة الجزائرية، خاصة خلال المرحلة الممتدة ما بين 1919 و1962، كما عاد واستعرض في الصفحات اللاحقة من هذا الفصل الأسباب الأساسية للهجرة منذ نهاية القرن التاسع عشر وإلى غاية آخر العام 1972.[12] وبعد أن توقف الكاتب في الفصل الرابع عند مساهمة الجزائريين في الاقتصاد الفرنسي[13]، عالج في الفصل الموالي، لدراسة الأوضاع الاجتماعية للعمال المهاجرين وأعمارهم وحالتهم الثقافية والمادية[14]، ليواصل في الفصل السادس مناقشة حالة العمال بفرنسا وشعورهم تجاه هذا البلد، محددا أماكن إقامتهم ونظرتهم إلى عملهم وإلى الفرنسيين، ونظرة هؤلاء إليهم[15]،

وخُصص الفصل السابع لمناقشة شعور العمال الجزائريين تجاه وطنهم ونسبة زيارتهم لوطنهم ما بين سنتي 1962 و1969، ومدى مساهمتهم في إدخال العملة الأجنبية للجزائر، مع تسجيل آمالهم وطموحاتهم المختلفة[16]، وعالج الفصل الثامن علاقة العمال بمختلف المنظمات المتواجدة بفرنسا، الجزائرية منها والفرنسية[17]، أما الفصل التاسع فكان لاستعراض المشاكل التي يعيشها المهاجرون من العمال

الجزائريين في فرنسا، ويقترح بعض التوصيات لحل مشاكل الهجرة[18]، ويُختتم هذا البحث بالفصل العاشر، الذي تطرق إلى المشاكل والأزمات التي يعيشها العمال الجزائريون، ما بين سنوات 1973 و1979[19].

إن ما قدمه الدكتور عمار بوحوش في هذا العمل، يُعد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، وقد حاول صاحبها معالجة واقع الجزائريين بفرنسا، خاصة بعد سنة 1962 وإلى غاية سنة 1979، ومن ثمة الإجابة على الكثير من الأسئلة التي تشغل بال الباحثين والدارسين، غير أن ما يؤخذ عليها هو عدم تعرضها للواقع الثقافي والاجتماعي للعمال الجزائريين داخل الأراضي الفرنسية، وتطور هذا الواقع، ومدى مساهمتهم في الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي الفرنسي، وذكر الفئات المهاجرة التي فضلت أخذ الجنسية الفرنسية.

- النموذج الثالث:

الجيلالي صاري وآخرون، **هجرة الجزائريين نحو أوروبا** الجزائر، 2007. / Djillali Sari, et Autres, **L Émigration Algérienne en Europ**, Alger, 2007.

هذه الدراسة التاريخية الاجتماعية صدرت في إطار سلسلة مشاريع البحث الوطنية، الجزء الأصغر منها باللغة العربية، بحيث لا تتعدى صفحاته المائة والجزء الأكبر باللغة الفرنسية، وقد بلغ مجموع صفحاته 319 صفحة، والمساهمون في هذا البحث، مختصون في علم الاجتماع. وعند الغوص في ثنايا هذا البحث الذي لا يحدد عنوانه مرحلة تاريخية بذاتها، نكتشف أن المضمون لا ينطبق مع العنوان، إلا في النادر، فقد توقف الباحث في القسم المكتوب باللغة العربية عند مصير الجزائريين والغزو الفرنسي لمدغشقر 1895، وهذا المحور لا علاقة له بالهجرة إلى فرنسا أو أوروبا[20]، والكاتب نفسه هو صاحب المحور الثاني، الذي حمل عنوان" الهجرة الجزائرية إلى أوروبا وخارجها(1900/1950)، وجاءت الصفحات السبعة من هذا المحور في شكل تساؤلات حول الهجرة والمهاجرين وإشكالية هجرة الجزائريين إلى

المغرب الأقصى وتهجيرهم إلى مدغشقر وكاليدونيا الجديدة، وبناء على هذه المعطيات، فإن الكاتب لم يعالج ظاهرة الهجرة الجزائرية، لا إلى أوروبا بما فيها فرنسا[21]؟

المحور الثالث والأخير باللغة العربية في هذه الدراسة، هو للأستاذ حسين عبد اللاوي، وقد تناول فيه مساهمة الطلبة الجزائريين المتمدرسين بالجامعات الفرنسية في الحركة الوطنية قبل 1954، وهو بالمحصلة دراسة لأوضاع الطلبة الجزائريين في الجامعات الفرنسية منذ ستة 1881 وإلى غاية العام 1954، وأسباب هجرتهم وتطور تنظيمهم، وممارسهم للعمل السياسي، والملاحظة على ما كتبه عبد اللاوي، أنه لم يضف جديدا حول هذا الموضوع، وهو تكرار لما كُتب، خاصة كتابات المؤرخ الفرنسي" قي بيرفي" كما أنه عالج وضعية الطلبة الجزائريين بالجزائر وفرنسا معا[22].

أما القسم المكتوب باللغة الفرنسية، فكان فيه للأستاذ الجيلالي صاري، محوران، الأول تطرق فيه إلى مكانة الهجرة الجزائرية في المقاومات الشعبية، وحاول إعطاء صورة عامة عن تلك الهجرة إلى بلدان المغرب والمشرق العربيين، خلال مرحلة المقاومة الشعبية وصولا إلى الحركة الوطنية، وخصص الحيز المهم في هذه الدراسة لمظاهرات الجزائريين في 17 أكتوبر 1961 بباريس(من الصفحة 15 إلى الصفحة31)، ولا تظهر في هذا المحور العلاقة الكبيرة بينه وبين العنوان العام للدراسة[23].

وأعطى صاري، للمحور الثاني تسمية "الهجرة الجزائرية خارج أوروبا"،؟ وهذا المحور، الذي تجاوزت صفحاته المائة،؟ هو تقريبا ترجمة لما سبق وقدمه باللغة العربية، فقد تطرق للهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى، ونحو كاليدونيا الجديدة، وأخيرا تناول دور المجندين الجزائريين في غزو مدغشقر سنة 1895.[24]

وفي هذا القسم قدم الأستاذ علي مازيغي دراسة بعنوان " العمال الجزائريون المغتربون والحركة الوطنية" وعدد صفحات هذه الدراسة بلغ 182 صفحة، جاءت

في سبعة فصول، عالج فيها الظروف التي تحكمت في هجرة الجزائريين إلى فرنسا، مرورا إلى تأسيس حركة نجم شمال إفريقيا والدور الذي لعبه المهاجرون في بعث وهيكلة هذه الحركة، ثم توقف تطور النجم ومرحلة حزب الشعب الجزائري، ويصل الباحث في الأخير إلى دور هؤلاء المهاجرين في الثورة التحريرية، وخاصة في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 بباريس وأثارها المادية والمعنوية، والملاحظة الأساسية حول هذا البحث، هو أنه تناول الجانب السياسي للجزائريين في فرنسا دون غيره من الجوانب الأخرى، التي لها أهميتها القصوى.[25]

- النموذج الرابع:

سعدي بزيان، **دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954، التاريخ السياسي والنضالي للجزائريين من "نجم شمال إفريقيا" إلى الاستقلال**، الجزائر، دون تاريخ.

رغم أن الكاتب سعدي بزيان يعترف أنه ليس مؤرخا، وأنه فقط مهتم ومتتبع للتاريخ، خاصة تاريخ الثورة الجزائرية في المهجر، إلا أنه يُعد من أبرز من كتب باللغة العربية عن موضوع الهجرة والمهاجرين الجزائريين إلى فرنسا. ويُعتبر الكتاب الذي نقدمه كأحد النماذج للدراسة، من أهم ما كتب السيد بزيان فيما يتعلق بالهجرة والعمال الجزائريين في فرنسا، وهذا الكتاب من الحجم الصغير، بحيث لم تتجاوز صفحاته المائة، تضمنت مدخلا، هو استعراض لتاريخ الهجرة الجزائرية إلى فرنسا منذ سنة 1912 وإلى نهاية سنة 1962، والأسباب التي أدت إلى تلك الهجرة، سواء الأسباب التي قدمها الجزائريون أو المؤرخون الفرنسيين[26]. تناول في المحور الأول، ميلاد حركة النجم وعلاقة هذه الحركة بالمهاجرين الجزائريين، والمشاكل التي اعترضت طريق النجم وحزب الشعب والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية لاحقا، وإلى غاية سنة 1954[27]، وشرح الكاتب في المحور الثاني، العلاقة بين جبهة التحرير الوطني والجالية الجزائرية بفرنسا، والصدام الذي

حصل بين الجبهويين والمصاليين، منذ اندلاع الثورة وحتى سنة 1957، كما مطرق إلى ظهور وتطور فدرالية جبهة التحرير بفرنسا، وإلى غاية تعيين السيد عمر بوداود رئيسا لها صيف سنة 1957[28].

وبعد أن استعرض الكاتب بزيان في المحور الثالث، نقل العمل المسلح للثورة إلى الأراضي الفرنسية صيف العام 1958، وأعطى صورة عن تطور العمليات العسكرية حتى شهر جويلية 1961، وردود الفعل منها، والمساهمة المالية للجالية الجزائرية المتواجدة بفرنسا في دعم الكفاح المسلح[29]، ركز في المحور الرابع على مظاهرات الجزائريين بباريس 17 أكتوبر 1961، من حيث الأسباب والتحضير والمواجهات والنتائج[30].

خصص السيد بزيان المحور الخامس، للوقوف عند مساهمة الجزائريين المقيمين بفرنسا، في دعم الثورة التحريرية، ماديا وبشريا، مختتما هذا المحور بالتعريف ببعض قيادات فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا[31]، أما المحوران السادس والسابع، فقد صاغهما الكاتب في إطار الدراسة المكملة لعمله، عرف فيهما بالتقسيم الجغرافي لفدرالية جبهة التحرير بالأراضي الفرنسية، وعدد المنخرطين فيها بحسب المناطق، وسرد في الأخير تسلسلا زمنيا لأهم الأحداث التي عاشها العمال الجزائريون بفرنسا منذ شهر ديسمبر 1954، وحتى شهر سبتمبر 1958 [32].

وبعيدا عن الملاحظات المنهجية على الكتاب وطريقة العرض والتقديم التي المنتهجة فيه، فإن الكاتب حاول في المدخل أن يؤرخ للهجرة الجزائرية لفرنسا، إلا أن العمل في عمومه ركز على التأريخ للنجم وحزب الشعب وصولا إلى الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية وجبهة التحرير الوطني، ونشاط وتطور هذه التشكيلة (من النجم إلى جبهة التحرير) بالتراب الفرنسي. وقد وقف عند هذه

المحطات بسرعة واختصار شديد، لا يُلبيان رغبة القارئ أو الباحث، ولا يُجيبان عن الكثير من الأسئلة والإشكاليات الأساسية، حول المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا وواقعهم هناك والأدوار التي أدوها من أجل خدمة القضية الجزائرية، منذ وطأتهم أرض فرنسا، وإلى غاية استرجاع السيادة الوطنية صيف عام1962 .

- النموذج الخامس:

أحمد عصماني، **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في ثورة أول نوفمبر 1954(1954-1962)**، في تاريخ الجزائر المعاصر، جامعة الجزائر02، 2013/2012.

إن الدراسة التاريخية التي قدمها الباحث أحمد عصماني، محددة زمانا ومكانا، تتألف من 475 صفحة، منها 365 صفحة عبارة عن المتن، والباقي ملاحق وفهارس، وعدد فصولها خمسة بما فيها الفصل التمهيدي. وفي هذا الفصل عالج حركة الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، منذ مرحلة الحرب الإمبريالية الأولى وإلى غاية سنة 1955، كما عرج على نشاط المهاجرين ودورهم في نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري بشكل موسع(15 صفحة)، وفي صفحتين فقط، تحدث عن علاقة هؤلاء المهاجرين، بكل من جمعية العلماء المسلمين والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ومما يؤخذ على عمل الطالب في هذا الفصل، أنه لم يعُد إلى المصادر والوثائق التي سجلت أرقام وأعداد المهاجرين، بل اعتمد على مراجع بعضها حديث الصدور، كما أن نصف صفحات هذا الفصل، هي تاريخ للنجم وحزب الشعب، مع وقوعه في الخلط بين نشاط هذه التشكيلة في فرنسا والجزائر[33].

بعد الفصل التمهيدي، حاول الباحث عصماني في الفصل الأول التوقف عند دور المهاجرين بفرنسا في الثورة، غير أن المتصفح في لهذا الفصل، يجد أنه عالج أزمة حزب الشعب(1954/1935)، وسجل الأصداء الأولية للمهاجرين حول اندلاع الثورة في الجزائر، ورد فعل السلطات الفرنسية تجاههم، ثم يتوقف مطولا عند

ظهور الحركة المصالية (MNA) وتطورها وصراعها مع جبهة التحرير الوطني، ولا يتجاوز هذا الفصل زمنيا شهر نوفمبر من العام 1958[34].

وتعرض في الفصل الثاني، إلى ميلاد وتطور جبهة التحرير بفرنسا، من حيث ظروف ظهورها وهيكلتها وتنظيمها، مابين1954 و1957[35] ، ليواصل في الفصل الثالث الحديث عن تطور فدرالية جبهة التحرير بالأراضي الفرنسية، تنظيميا ودعائيا وعسكريا، والدور الذي لعبه المهاجرون في دعمها وتثبيت أركانها، مع التطرق مرة أخرى وبشكل موسع إلى الصراع بين جبهة التحرير الوطني والحركة المصالية (MNA) بفرنسا، وتناول العلاقة بين فدرالية الجبهة والفرنسيين على العموم، ونقل معارك الثورة إلى داخل العمق التراب الفرنسي، والبحث عن الدعم من خارج فرنسا، وفي هذا الفصل ناقش الباحث مظاهرات 17 أكتوبر1961 بباريس، من حيث الأسباب والنتائج، مع غياب التذكير أو التركيز على دور المهاجرين السياسي والمادي والعسكري والدعائي للثورة التحريرية [36].

أما الفصل الرابع والأخير، فقد خصصه الباحث إلى المنظمات الجماهيرية التابعة لجبهة التحرير، من حيث الظهور والتطور، غير أنه لم يعالج الموضوع من باب دور فدرالية الجبهة بفرنسا في تأسيس وبعث هذه المنظمات، أو دور المهاجرين عموما في بعث واحتضان تلك المنظمات، والأهم من ذلك، أن الدارس خلط بين وقائع حدثت بالجزائر ثم لحق صداها بفرنسا، وقدمها وكأنها حدثت أصلا بفرنسا، ومن ذلك إضراب الطلبة في 19 ماي 1956، والذي لا يخفى أن الجزائر هي التي شهدت انطلاقته الأولى[37].

ولا يخلو هذا الفصل من التكرار في بعض العناصر، ففي الصفحة 306، سجل عنوانا جانبيا أطلق عليه ردود الفعل الفرنسية على تفاعل العمال الجزائريين بفرنسا مع ثورة التحرير، هو عنوان مكرر في الصفحة 88 من ذات الرسالة

وبعنوان المهاجرون الجزائريون بفرنسا في مواجهة القمع والتضليل، ليكر في الصفحة 314، العنوان وبصيغة قريبة من العنوانين السابقين، وهو العمال الجزائريون عُرضة للإجراءات الأمنية والتعسفية وفي الصفحة 315، يسمي عنصرا جانبيا بالبحث عن دعم الفرنسيين الأحرار في الوسط العمالي، وهو يحمل نفس مضمون العنصر الوارد في الصفحة 115، الذي عنونه بالسعي إلى التأثير على العمال الفرنسيين[38]. وأحيانا يخرج الباحث عن الإطار المرسوم له عندما يعود ببعض المحاور إلى مرحلة ما قبل الثورة مثلما ورد في الصفحتين 304-305، عندما تطرق إلى أزمة حزب الشعب بين سنتي 1953/1952، ونفس الملاحظة تسجل في الصفحة 352، عندما أشار إلى التحاق المهاجرات الجزائريات إلى المنظمة الخاصة التي ظهرت مطلع سنة 1947 وجُمد العمل بها في ربيع العام 1950.[39]

خلاصة

يعتبر موضوع هجرة الجزائريين إلى فرنسا، أثناء، الاحتلال وحتى بعد استرجاع السيادة الوطنية، من المواضيع الهامة والحساسة، التي كان من المفترض أن تسيل أقلام الباحثين والدارسين والمهتمين الجزائريين، ومن مختلف التخصصات، غير أن الملاحظ وبعد أزيد من نصف قرن من استرجاع الاستقلال، أن ما خطته الأيادي الجزائرية، قليل جدا، خاصة من الباحثين الجزائريين عموما، وداخل الجامعات الجزائرية على وجه التحديد، والكتابات الأكاديمية المنجزة باللغة العربية هي الأخرى قليلة جدا و لم تف الموضوع حقه بالدراسة والبحث والتحليل.

أما النماذج التي عرضناها للدراسة والمناقشة، فهي وعلى أهمية بعضها، وما تحتويه من إجابات على العديد من الأسئلة، إلا أنها لم تقف عند الكثير من الجوانب، خاصة، الثقافية والفكرية والاجتماعية و لم تجب عن الكثير من الأسئلة العالقة، و لم تغط فترة الاحتلال بكاملها، وركزت هذه الكتابات بشكل كبير على الجوانب السياسية، من الحركة الوطنية إلى الثورة التحريرية.

المراجع

(*) أولا:- الكتابات باللغة الفرنسية:

° _ الأبحاث العلمية(الجامعية)

1 - Ahséne Zehraoui: **Les Travailleurs Algériens en France**, (Etude Sociologique), Paris 1971.

2 - Ahséne Zehraoui: **L immigration, de l homme seul à la Famille**, (Etude Sociologique), Paris 1994.

3- Ahséne Zehraoui: **Familles d origine Algériens en France**, étude Sociologiques des processus d intégration. Paris 1999.

4 - Chaouche Habbaci: **Les relations entre l Algérie et la France de 1962 à 1978.** (Etude historique), paris 1987.

5 - Abdemalek Sayad: **Les trois âges de L immigration en France**, in Actes de Recherches en science sociales; Paris 1977.

6- Abdemalek Sayad: **Immigration (L) ou les paradoxes de l altérité;** France; 1998 (Etude Sociologique).

7 - Boualem Bourouiba : **Les Syndicalistes Algériens,(Leur Combat de L éveil à la libération, 1936/ 1962),** (Etude Sociologique) Paris. 1998 .

8 - Noureddine ElKarati: **La constitution de la population algérienne du département de Seine-Saint-Denis (1921/ 1999)** (Etude Sociologique), Paris 2004.

9 - Linda Amiri: **L immigration Algérienne face l Nov.** 1954 In Le 1 Nov.1954, La nuit Rebelle, Algérie 2004. (Etude historique).

10 - Linda Amiri: **Les fantômes du 17 oct.1961,**Paris 2001. (Etude historique).

11 - Linda Amiri: **L immigration Algérienne dans le département de la seine entre encadrement, contrôle et répression, le PPA et le FLN** ,(Etude historique) ,Paris 2002.

12 - Akkache Mahieddine: **Le Statut Juridique des Travailleurs Algériens en France,** (Etude juridique), Alger, 1973.

13 - Ali Salah: **Recherche sur l immigration dans le département Nord,** (Etude historique) France 1974.

14 - Kamal Bougussa: **Emigration et politique; Essai sur la formation et politisation de la communiste algérienne en France (entre deux guerre mondiales),** (Etude Sociologique) Paris 1979.

15- Kamal Bougussa: **Aux Sources du Nationalismes Algérien,** (Etude historique et Sociologique); Alger 2000.

16 - Younes Bendada: **Les Elites Sportives dans le Mouvement révolutionnaire 1918/ 1962,** (Etude historique et Sportif), Paris, 1978.

17 - Mohamed Fares: **La participation des Algériens à lutte de libération nationale;** (Etude historique); Paris; 1986.

18- Ahmed Mahsas: **Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie de la première guerre mondiale à 1954,** (Etude historique + Mémoires) Alger, 1990.

19 - Ahmed Arroul: **Le Football, une Expression de lutte, ;** (Etude sportive et historique);in Magazine spécial, N° 01 NOV 1994, Algérie, 1994.

20 - Belkacem Recham: **Les Musulmans Algériens dans l armée Française (1919/ 1945);** (Etude historique);France 1995.

21 - Karima Slimani (Deriche): **L histoire de: l Émigration Kabyle en France,** (Etude historique); Paris, 1997.

22 - Kamel Ali Mazighi: **Les Manifestations du 17 Octobre 1961 à Paris:** (Etude historique); in Elmassadir N° 10, Alger 2004.

23 - Nora Benallègue (Chaouia): **Algérie, Mouvement ouvrier et question Nationale, 1919-1954,** (Etude historique et Sociologique) Alger, 2005.

24 - Mariem Belabed (Mouhoub),et Autres: Jeunesse, Sport et Revendications Nationales (1940/1962),(Etude historique et Sportif), Alger 2007.

25 -Djillali Sari, et Autres. **L Émigration Algérienne en Europ,** , (Etude historique et Sociologique); Alger, 2007.

26 - Salima Sahraoui Bouaziz: **"Lutte de Libération Nationale",Ouverture du second front,** (Colloque organisé par la fédération du FLN), Paris, 2010.

1- Malek Ouary: **Par les chemins d émigration**, Alger 1955.

2 - Tayeb Bellola: **Les Algériens en France, leur passé leur participation à la lutte de libération, leur perspectives,**(Mémoires) Alger, 1965.

3 - Abderrhmane Fares: **La Cruelle Vérité: L Algérie de 1954 à L Independence,** (Mémoires), Paris, 1982.

4 - Amar Imache: **L Algérie au carrefour, la marche vers l inconnu,** (Mémoires), Paris; (sans date).

5 - Linda Amiri: **La Bataille de France, La guerre d Algérie en France;** Alger,2004.

6 - Mohamed Harbi: **Une Vie debout, Mémoires politiques (1945/1962),** (Mémoires), Alger, 2001.

(كتاب حربي، جبهة التحرير السراب والواقع، مترجم إلى اللغة العربية).

7 - Mohamed Lebjaoui: **Vérités sur la Révolution Algérienne**, (Mémoires), Alger, 2005.(La première édition date de 1970 aux éditions Gallimard, France).
(كتاب لبجاوي مترجم إلى اللغة العربية).

8 - Malek Ath Messaoud et Alain Gilette: **L' Immigration Algérienne en France,** Paris, 1976.

9 - Hamid Sediki ; Rachid Mekhloufi: **L'immigration Algérienne au bout du pied;** Alger, 1982.

10 - Djillali Benamrane: **: L Émigration Algérienne en France, (passé, présent, devenir),** Alger, 1983.

11- Belkacem Hifi: **L'Immigration Algérienne en France, origines et perspectives de non retour;** Paris, 1985.

12 - Ali Haroun: **La 7eme wilaya; La guerre du FLN en France(1954/1962),** (Mémoires), Alger, 1985.

13 - Ali Haroun et Benjamin Stora: **17 Octobre 1961 Mémoire d une Communauté,** Etudes et Documents, Paris, 1987.

14 - Mohand Hammoumn: **Ils sont Devenus Harkis**, France, 1993.

15 - Anne Marie Louanchi: **Salah Louanchi, Parcours d un militant Algérien,** Alger 1999.

16 - Hamoud Chaid: **Sans haine, Ni passion(Contribution à l écriture de l histoire de l Algérie),** (Mémoires), Alger, 2002.

17 - Ibrahim Ben Aicha: **Vivre au Paradis, d une Oasis à un Bidonville,**

(Mémoires), France.
18 - Abdellali Hajjat: **Immigration Poscoloniale et Mémoire,** Paris 2005.
19 - Omar Boudaoud: **Du PPA au FLN, Mémoire d un Combattant,** (Mémoire), Alger, 2007.
20 - Lakhdar Belaid: **Mon père ce terroriste, MNA contre FLN en France,** Paris, 2008.
21 - Abderrahmane Meziene Cherif: **La guerre d Algérie en France,**(émoires),Ed; Alger/ France; 2010.
22- Mohamed Ghafir: **Cinquantaine du17 Octobre 1961 à Paris,** (Mémoires),Alger, 2011.

ثانيا:- الكتابات باللغة العربية أو المترجمة:

قبل عرض ما كُتب باللغة العربية، أود الإشارة إلى أن العديد من الشهادات التي كتبها الجزائريون الذين عاشوا بفرنسا وعايشوا الأحداث، قد تمت ترجمتها من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، وبعضها ثُبت باللغتين، وبعضها بلغة واحدة، وفيما يلي أهم ما دون باللغة العربية، أصلا أو ترجمة:

°_ الأبحاث العلمية (الجامعية)

1- عبد الحميد زوزو، **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية مابين الحربين(1919 - 1939)**،(دراسة تاريخية)، الجزائر، بدون تاريخ، ودون تعديل أو إضافة أعادة وزارة المجاهدين طبعه سنة 2010.

2 - عمار بوحوش، **العمال الجزائريون في فرنسا**، دراسة تحليلية (دراسة سياسة تاريخية)، ط 1، الجزائر 1975 ،الطبعة 02 بالجزائر 1979.

3- أحمد صاري، **دور المهاجرين الجزائريين في الثورة التحريرية**، دراسه منشورة في مجله المصادر العدد الأول الجزائر، 1999

4- كمال بوقصة، **مصادر الوطنية الجزائرية**، ترجمة، ميشال سطوف، (دراسة تاريخية اجتماعية)، (موجود في القائمة المثبتة باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2005.

11- ناديه رفاسة، **الحركة المصالية، نشأتها وتطورها في فرنسا(1954-1958)**، (دراسه تاريخية)، وهران، الجزائر، 2006.

5- الجيلالي صاري وآخرون، **هجرة الجزائريين نحو أوروبا**،(دراسة تاريخية اجتماعية، الجزء الأصغر باللغة العربية والأكبر باللغة الفرنسية)، (موجود في القائمة المثبتة باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2007.

6- أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر 1914- 1954، (مذكرات ودراسة)، (موجود في القائمة المثبتة باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2007. غير منجز في الجزائر

7- محمد قريني، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، 1945- 1954، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001/ 2002.

8- أحمد عصماني، دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في ثوره أول نوفمبر 1954 (1954-1962)، (دراسة تاريخية)، رسالة دكتوراه في تاريخ الجزائر المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر02. 2013/2012.

9-الجيلالي تيكران، الحركة العمالية الجزائرية في الجزائر وفرنسا، ودورها في التحرير الوطني، 1945-1962، أطروحة دكتوراه، في التريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02 ،2013/2012.

_المذكرات والكتابات العامة

1- مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن، الطالب**، ترجمة بقلم المؤلف(**مذكرات**)، دار الفكر بيروت، لبنان، 1970.

2 - سعدي بزيان، **دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954، التاريخ السياسي والنضالي للجزائريين من "نجم شمال إفريقيا" إلى الاستقلال**، الجزائر، دون تاريخ.

3 - سعدي بزيان، **الشباب الجزائري في المهجر والبحث عن الهوية الثقافية**، الجزائر، 1986.

4 - سعدي بزيان، **جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17 أكتوبر 1961**، الجزائر، 2003.

5- عبد الله حمادي، **الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962،" مشارب ثقافية وإيديولوجية"**، الجزائر، 1995.

6 - بحمد حربي، **حياة تحدي وصمود**، ترجمة عبد العزيز بوباكير وعلي قسايسة،،(**مذكرات**)،(موجود في القائمة المثبتة باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2004.

7- أحمد طالب الإبراهيمي، **مذكرات جزائري، أحلام ومحن (1965/1932)**،(**مذكرات**)، الجزائر، 2006.(موجود كذلك باللغة الفرنسية).

8- أحمد مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج، (1938/1898)،)، ترجمة، محمد المعراجي (**مذكرات**)، (موجود كذلك باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2007.

9- عمر بوداود، **من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل**، ترجمة أحمد بن محمد بكيلي،(**مذكرات**)،(موجود في القائمة المثبتة باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2007.

10- علي هارون، **الولاية السابعة، حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي (1962/1954)**، ترجمة، الصادق العماري ومصطفى ماضي،(**مذكرات**)،(موجود في القائمة المثبتة باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2007.

11 - عبد الرحمان فارس، **الحقيقة المرة، مذكرات سياسية 1945-1965**، ترجمة مسعود حاج مسعود، (**مذكرات**)،(موجد في القائمة المثبتة باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2007.

12 - حمود شايد، **دون حقد ولا تعصب**، ترجمة، عبد الرحمن كابوية ومحمد سالم،(**مذكرات**)، (موجود في القائمة المثبتة باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2010.

13- محمد مشاطي، **مسار مناضل**، ترجمة، زينب قبي،(مذكرات)، (موجود كذلك باللغة الفرنسية)، الجزائر، 2010.

الهـــــــــوامش :

(1)- عبد الحميد زوزو، **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية مابين الحربين(1919 - 1939)**، الجزائر 1974، ص 11 إلى ص 51.

(2) - نفسه، ص ص،12، 13، 14.

(3) - نفسه، ص ص،14، 15.

(4) - نفسه، ص 16 إلى ص 51.

(5) - يبدأ هذا الفصل من الصفحة 53 ونهايته في الصفحة 76.

(6) - هذا الفصل يبدأ من الصفحة 77 ونهايته في الصفحة 113.

(7) - نفسه، ص ص، 115... 162.

(8) - نفسه، ص ص، 163... 180.

(9) - عمار بوحوش، **العمال الجزائريون في فرنسا**، دراسة تحليلية، ط 1، الجزائر 1975 والطبعة 02 بالجزائر 1979، ص، ص، 11... 35

(10)- نفسه، ص ص، 37 ... 107.

(11) - نفسه، ص ص، 107 ... 125

(12) - نفسه، ص ص، 129 ... 167.

(13) - نفسه، ص ص، 169 ... 201.

(14) - نفسه، ص ص، 203 ...226.

(15) - نفسه، ص ص، 227 ... 254.

(16) – نفسه، ص ص، 255 ... 282.

(17) – نفسه، ص ص، 283 ... 298.

(18) – نفسه، ص ص، 299 ... 336.

(19) – نفسه، ص ص، 337 ... 348.

(20)– الجيلالي صاري وآخرون، **هجرة الجزائريين نحو أوروبا** الجزائر، 2007، ص ص 06، 09.

(21) – نفسه، ص ص،10، 17.

(22) – نفسه، ص ص،18... 81.

(23) -Djillali Sari, et Autres, **L Émigration Algérienne en Europ**: Alger. 2007, PP. 07.33.

(24) - Ibid, PP ,209, 313.

(25) - Ibid, PP, 35, 207.

(26)– سعدي بزيان، **دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954، التاريخ السياسي والنضالي للجزائريين من "نجم شمال إفريقيا" إلى الاستقلال**، الجزائر، دون تاريخ، ص ص،08ـــ 13.

(27) – نفسه، ص ص،14، 24.

(28) – نفسه، ص ص،25، 35.

(29) – نفسه، ص ص، 36، 50.

(30) – نفسه، ص ص، 51، 62.

(31) – نفسه، ص ص، 63، 90.

(32) – نفسه، ص ص، 91، 97.

(33)– أحمد عصماني، **دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في ثورة أول نوفمبر 1954(1954-1962)**، في تاريخ الجزائر المعاصر، جامعة الجزائر02، 2013/2012، ص ص، 14، 44.

(34)– نفسه، ص ص،45،94.

(35) – نفسه، ص ص،96،141.

(36) – نفسه، ص ص، 143،302.

(37) – نفسه، ص ص، 304، 357.

(38)– نفسه، ص ص، 88، 115، 306، 314، 315.

(39)– نفسه، ص ص، 304، 305، 352.